الفلسطينيين عن قضيتهم، وضخمت انتصارات الثورة، واوهمت الجماهير الفلسطينية والعربية، وكأن الثورة الفلسطينية قادرة على اجتراح المعجزات، وكأنها قادرة على تحرير فلسطين وحدها. وبذلك تهربت من تحمل المسؤولية في التحرير، واقتصر دورها على الدعم الاعلامي والمالي للثورة.

وخلص سيف الدولة الى ان الثورة الفلسطينية تسير في طريق مسدود. فهي مطالبة بدفع ثمن ما حصلت عليه من انجازات دبلوماسية وسياسية، وان من اعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً للشعب الفلسطيني، سيطالب المنظمة بالاعتراف باسرائيل، والذين استقبلوا ياسر عرفات في الامم المتحدة، واعترفوا بصفة المراقب للمنظمة، سيطالبونها بان تلتزم ميثاق الامم المتحدة، واحترام سيادة دولها، بما فيها اسرائيل، واقرار مبدأ عدم الاعتداء، وعدم الاستيلاء بالقوة على الاراضي. فهل الثورة الفلسطينية قادرة على دفع هذا الثمن؟ وكيف الخروج من المأزق ؟[٨٥].

وبسبب هذا المأزق، او الطريق المسدود، الذي وصلت اليه الثورة الفلسطينية، كما يرى سيف الدولة، فانه يعتبر «ان مرحلة ' الثورة الفلسطينية' قد اوشكت على نهايتها وحققت فيها اقصى ما تسمح به طاقاتها وظروفها الاقليمية، وعليها ان تعد نفسها، من الآن، لتكون جزءاً عضوياً من متطلبات المرحلة القادمة: الثورة العربية»[٨٦].

الا ان الكاتب لم يحمّل الثورة الفلسطينية وحدها مسؤولية «المأزق» الذي وصلت اليه الثورة الفلسطينية، بل حمّل المسؤولية للواقع العربي المتخاذل والمتآمر، «فبينما كان ابطال الثورة الفلسطينية من المقاتلين يواجهون اسرائيل، ويوجهون الى كلب الحراسة ضربات موجعة تردد صداها فتبالغ في آثارها اجهزة الدعاية والاعلام في الدول العربية، كان الامداد المالي والاقتصادي والعسكري، وحتى الدعائي، يصل الى اسرائيل ' من جبهات الظل' خلال قنوات التبعية للولايات المتحدة الاميركية ومصالحها في الوطن العربي»[٨٧].

اما الفئة الثانية من القوميين، فهي اولئك الذين حاولوا التوفيق بين معتقداتهم القومية والوحدوية وبين خصوصيات الثورة الفلسطينية والتعامل معها كرديف للحركة القومية، او كرؤية قومية جديدة، وليست كاقليمية جديدة. وفي الواقع، فان من امتلكوا القدرة على سبر اغوار الثورة الفلسطينية وتفهموا استراتيجيتها وبرروا فلسطينية منطلقها كانوا قلة. ومن هؤلاء، مثلاً، نجد معن بشور. فقد اعتبر بشور ان القطرية الفلسطينية هي «القطرية» الوحيدة المبررة والمقبولة في المنطق القومي[٨٨]. ودافع بشور عن استقلالية القرار الفلسطيني وتفهم ضرورات وجوده واهميته. هذه الاهمية التي «لا تنبع، فقط، من كونه تعبيراً عن ابراز الشخصية الوطنية الفلسطينية في وجه محاولات الطمس الصهيونية، وانما تنبع، كذلك، وبالدرجة الاولى، من كون هذه الاستقلالية هي، أيضاً، ضمانة استمرارية النضال الفلسطيني تحت ظل الظروف وفي جميع الاوضاع والحالات»[٨٩].

وفي دفاع بشور عن الثورة الفلسطينية، حذر من ربط الثورة بأي وضع عربي يحرمها من حرية العمل والحركة باعتبارهما جوهر وجودها ومصدر قوتها، ولأن ارتباطها بأي نظام عربي سوف يعرضها لاعباء وضغوط فوق طاقتها. واكد بشور ان مسيرة الثورة الصاعدة اكدت وحدويتها وقوميتها، وان الممارسة العملية للثورة اكثر دلالة وبرهاناً على قوميتها، حيث ان «كل عملية عسكرية ضد العدو الصهيوني، سواء جرت من داخل الاراضي المحتلة او من